تأثير الأعاجم في لغة العرب

للباحثة العربي الكبير
عبد الحق فاضل

ان تطور اللغة – أية لغة – انما يكون بتفاعل داخلي بين أبنائها أو باحتكاك خارجي مع غيرها من لغات بني الانسان ، والثاني هو الذي نريد .

والاحتكاك الخارجي اما أن يؤثر في اللغة باعطائها مفردات أجنبية جديدة تضاف الى ذخيرتها كالالفاظ الدخيلة الوافرة في جميع اللغات ومنها العربية (I) واما أن يؤثر في اللغة الاصلية نفسها فيحدث فيها بعض التغيير ، والثاني هو الذي نريد .

وتأثير الأعاجم في اللغة الاصلية نفسها يتم اما في موطن اللغة بين ظهراني أهلها واما بعيدا عن موطنها في ديار أهل غير أهلها وربما يتعاون على اللفظة الصغيرة الواحدة أكثر من شعب ، أو عدة شعوب ، ليحرفوها عن موضعها . وكلا من هذين الامرين نريد .

والتأثير الاعجمي في اللسان العربي اما أن يحققه الاعاجم في ديارهم او في ديار العرب ، واما أن يحققه العرب في ديارهم أو في ديار الاعاجم دون تدخل من الاعاجم أنفسهم ، وكل ذلك نريد .

ونفضل البدء بذكر بعض الالفاظ التي حملها الاعاجم الى مواطنهم فغيروا مبناها او معناها او كليهما ، ثم أعادوها الينا فقبلناها منهم على علاتها ، أو زدناها نحن علات على علاتها .

وفي تاريخ العراق أمثلة كثيرة من هذا الطراز . وانما أذكر بعض الامثلة من العراق لاني أعرف بها من سواها . ولنأخذ منها اسم (سرجون) وهو من أشهر الاسماء في تاريخ أرض الرافدين ، وقد تسمى به غير واحد من كبار الملوك . ان اصل هذا الاسم هو (شروكين) – وزان متروكين – سماه الانكليز (سركون Sargon) بالكاف الفارسية ، وكتب المصريون هذا الاسم المستحدث بالجيم لينطقوه بالكاف الفارسية على طريقتهم ، ولكن العراقيين نقلوا عنهم كتابة الاسم بالجيم ونطقوه بالجيم ، فزادوا الامر اختلاطا .. وهذا كله يجري في عصر المعرفة الذي نعيش فيه ويترك أثره في وطن شروكين نفسه .

وأهم من شروكين اسم (سومر Sumer) وما جرى له مع المحرفين القدماء والمحدثين ، فقد سمتها التوراة أرض (شنعار) وظل البشر ومنهم أهل الرافدين – سكان سومر القديمة – يعرفونها بهذا الاسم ، الى أن اكتشف المنقبون آثارها أخيرا فعرفوا اسمها الصحيح الذي به كان يسميها أهلها ، وهو على كل حال ليس (سومر) فهذا ايضا خطأ ، بل (شمر) – وزان درر ، بضم وفتح . ولكن المستشرقين كانوا قد اصطلحوا على كتابة حرف الشين بحرف (اس – S) عليه علامة مخصوصة دفعا للالتباس الذي يحصل من استعمال (اس. اج – Sh) واحدهما يدل على السين والاخر على الهاء مخافة ان يتوهم القارىء فينطق كلا منهما على حدة بحيث اذا صادفته (Shumer) مثلا قرأها (سهومر) وظن المستشرقون أنهم باستعمالهم حروفهم الاصطلاحية ومنها الحرف الواحد المختص بالشين قد قضوا على كل لبس محتمل ، ولكن هذا الاحتراز من اللبس المحتمل بذاته قد سبب لبسا آخر بات مستعصيا تصحيحه الا

(I) أن تأثر اللغة الفارسية واللغات الاوربية الحديثة باللغة العربية في العهد الاسلامي أمر معروف ، وهو دليل على فضل العرب على الحضارة الحديثة . ولكن لدينا بحوثا نأمل أن تساعفنا الظروف على انجازها واخراجها تميط اللثام عن تأثر اللغات الفارسية واللاتينية والانكليزية وغيرها باللغة العربية منذ الجاهلية الاولى مما قد يحدث انقلابا في تقييم مكانة الجزيرة العربية من الحضارة الانسانية من أقدم عهودها .

في المدى الطويل . ذلك بأن اكثر المطابع الاوربية لا تملك الحرف المصطلح عليه للشين فاستعملت حرف (اس S) البسيط المعتاد وحده فصار الناس ينطقون اسم (شمر) بالسين ، وبضة مديدة ايضا ، فصار (سومر) وقد بقيت بعض المجلات الانكليزية حتى عام 1925 ـ فيما أذكر ـ تكتبه بحرفي «اس.اج Sh» هكذا : **Shumer** ثم غلب الخطأ لشيوعه على الصواب لندرته كما هي القاعدة في أمثال هذه الحال . وصار سكان أرض (شمر) ـ العراقيون ـ أيضا يسمونها (سومر) بل ان مديرية الآثار العامة العراقية نفسها عندما أصدرت مجلتها الأثرية سمتها (سومر) بالعربية على الغلاف الايمن ، و**Sumer** بالانكليزية على الغلاف الايسر .

ومن اغرب ما اوقعنا فيه الاعاجم من اغلاط اسم سورية . فالسوريون ونحن معهم نسميها «سورية» ، وهم يدعون أنفسهم ونحن معهم ندعوهم (السوريين) ... نزولا على حكم الاعاجم ـ الاغريق ـ في هذه التسمية الخاطئة . واسمها العربي هو (الشام) كما هو معلوم ، ولكن الاغريق عرفوها جزءا (I) من الامبراطورية (الآشورية) **Assyria** فسموها (سيريا **Syria** . والظاهر أن الاغريق ما كانوا يفرقون بين الاسمين ، وقد تابعهم اللاتين على ذلك فاستعملوا الاسمين بمعنى واحد .

ونتيجة لذلك سمى الاغريق اللغة الارمية ـ أو الآرامية على الشائع ـ (سيرياك ـ **Syriac**) اى اللغة السورية ، فقبلنا هذه التسمية ايضا جريا مع من قبلها من العالمين وسميناها (السريانية) . وكذلك سموا الارميين ـ كل الارميين ـ (سيرياك **Syriac**) أى أهل سورية فسميناهم (السريان) لانهم ـ بعضهم ـ كانوا يسكنون أرض الشام . هذا على حين ان الارميين لم يكونوا كلهم يسكنون الشام ، ولا كان كل سكان الشام أرميين ، كما أن الشام غير آشور ، واللغة الآشورية غير الارمية ، وان كانت مثلها سامية ترجع معها الى أصل واحد .

وان كانت هذه الملابسات قد اعتورت اسم آشور في العصور القديمة فان العصور الحديثة بالرغم من علومها وفنونها لم تبرأ من امثال هذا الخطأ ، في حق آشور ايضا . فقد اكتشف المنقبون الغربيون آشور وعرفوا اسمها قبل ان يكتشفوا سواها من أنحاء العراق القديم فكان منهم أن سموا علم التنقيب الآثاري في العراق علم الآشوريات (أسيريولوجي **Assyriology**) وما زالوا على ذلك الى يومنا هذا . ولا ادري الى متى سيظلون متمسكين بهذه التسمية بالرغم من اكتشافهم ربوعا ودولا عراقية قديمة أخرى ، فالتاريخ الشمري ، والتاريخ الاكدي ، والحنوري ، والكاشي .. كلها **آشوريات !**

فاليوم عندنا خمسة الفاظ من اسم آشور كالذي رأينا ، أربعة منها خطأ بفضل الاجانب . وهي عدا **آشور : سورية ، السريان ، السريانية ، الآشوريات .**

ولنترك العراق وسورية ولنضرب امثلة من طراز آخر .

(الترسانة) : كلمة عربية تأنكلزت وغيرت من قيافتها الى حد أصبح من الصعب معه معرفتها دون دليل يستعملها المصريون بمعنى (دار الاسلحة) تعريبا لكلمة **(أرسينال** Arsenal التي تعني بالانكليزية مؤسسة صنع الاسلحة والتجهيزات العسكرية . وهذه قد اقتبسها الانكليز في الأصل من العربية : (دار **الصناعة)** . ولكن الترسانة معروف انها كلمة اعجمية على كل حال ، ولولا ذلك لقال الباحثون انها من الترس الذي يقي المحارب من ضربات فريعه عند النزال كما تقي الترسانة ـ أي دار الاسلحة ـ الوطن من ضربات العدو !

وأهم من هذا ـ من الناحية اللغوية ـ ما يقال له في ديار الشام **(أرضي شوكي)** ، والاكثرون يظنونه اسما عربيا أصيلا ، في حين أنه معرب عن الانكليزية ، عن الفرنسية ، عن الاسبانية . وقد اقتبسته الاسبانية عن العربية ، وهو **(الخرشوف)** ـ الثمر الذي يسمى في شمال العراق باسمه التركي (انكينار) ، وقل من يعرفه في العراق ولا سيما في الجنوب لندرته . وقد حرف الاسبان اسمه فسموه **(الكجوفة)** ـ **Alcachofa)** وتناول الفرنسيون هذه اللفظة الاسبانية فجعلوها **(أرتيشو Artichaut)** ثم تلقاها الانكليز فنطقوها أرتيجوك **Artichoke)** فلما سمع الشاميون ـ عفوا : السوريون حسب التسمية الرسمية ـ هذه الكلمة لم يخامرهم ريب في أنها **(أرضي شوكي)** ، ولا سيما أن لهذا الثمر حراشف **(شاتكة)** ، وليس من المعقول أن تأتي من الانكليزية بنفس المعنى العربي كلمة **الشوك** التي يتميز بها هذا النبات **والارض** التي يزرع فيها ـ كما قال لي أحدهم مجادلا .

(I) اننا نعرف أن كلمة (جزء) تنون بغير ألف حسب القاعدة الرائجة ، ولكن القاعدة خطأ في نظرنا ، لان همزة الجزء وأمثالها لا تختلف عن سائر الاصوات من عين وخاء وقاف لها نطقها الخاص ، وهي غير الالف قطعا . ومن المنطق معاملة الهمزة كغيرها من الاصوات باضافة الالف اليها عند المد أو التنوين .

وشيء من هذا القبيل يمكن ان يقال عن (الكازوز) – أو الغازوزة كما يكتبها عرب المشرق . هذه الكلمة اليعربية أصلها (عرق السوس) وهو شراب يصنع من جذور شجر السوس ، وما زال معروفا في الموصل يبيعه السقاء في الصيف خاصة في الاسواق البلدية القديمة . وما زال معروفا كذلك في بلاد الشام وبلاد المغرب العربي ، وربما في بلاد عربية أخرى . والظاهر أن العرب كانوا يستعملونه في الاندلس فاقتبسه الاسبان وسموه (ألكزوز – Alcazuz) ويبدو أنه أعجب الاسبان وغيرهم من الاوربيين الى حد انهم اطلقوا اسمه على مختلف الاشربة من باب التغليب . ثم عاد الاسم الى العربية بصيغة (الكازوز) فأطلق على أشربة الفواكه ذات الغاز عموما . فلا غرو أن يتوهم بعضهم أن التسمية انما جاءت من كلمة (الغاز) هذه لوجودها واضحة في الاسم . وفي مثل هذه المصادفة المضللة – ومن قبلها مصادفتا الترسانة والارضي شوكي – عبرة للباحثين ينبغي أن تعصمهم من التورط في مثل هذه المزالق اللغوية والامعان في القياس والاستنتاج – وانا كغيري كثيرا ما افعل ذلك – اعتمادا على تشابه لفظي صراح يبدو كأنه لا سبيل الى الشك فيه .

وان شاء القارىء مزيدا من النماذج فها هي (المغازه) وفصيحها المخزن ، واصلها العربي القح هو (المخزن) أيضا . وهي بالانكليزية (مكازين Magazine) وقد أخذها الانكليز عن الفرنسيين ، وهؤلاء عن الايطاليين ، وهؤلاء عن العرب . وهي لا تعني في الانكليزية مخزن البضائع فقط بل المخزن من كل نوع عسكري كذلك : من مدخر الاسلحة والاعتدة والبارود . وحتى مخزن الرصاص في البندقية . واخيرا صارت تعني **المجلة** . وشبه ذلك شأنها في الفرنسية (I) . ولو تناولها أحد اللغويين القدامى من العرب لقال ان المجلة انما سميت بذلك لانها مخزن العلم ! ولعل هذا هو الصواب حقا ، لان المجلة كتيب يحتوي موضوعات شتى . ومهما يكن فالظاهر ان عرب المشرق أخذوها عن الترك وهؤلاء عن الفرنسيين – لا الانكليز أو الايطاليين – لان الفرنسيين هم الذين ينطقونها **مكازه** وكذلك ينطقها المغاربة في لغتهم الدارجة . وقد كادت الكلمة تندثر الآن في المشرق لان الكلمة (المخزن) استعادت مكانها هناك أو كادت .

واليك كلمة عربية أخرى مثلت دورا خطيرا في اوربا ثم عادت الينا متفرنجة على العادة باسم (الشيفرة) .

وهذه الكلمة استعملتها وزارة الخارجية العراقية زمنا بمعنى الرموز السرية التي تتخابر بها مع مؤسساتها الدبلوماسية والقنصلية خارج العراق ، ثم بدا لها فسمتها بعد ذلك (القاعدة الرمزية) . وما زالت وزارة الدفاع العراقية تسميها (الجفرة) من باب التعريب . وحسب ديوان الترجمة فيها انما قبلها على وجهها هذا بالرغم من تشدده في التعرب لانها تشبه كلمة (الجفر) التي تشمل كذلك أمورا مطلسة سرية . واذا تحرينا نسب هذه الكلمة وجدنا أصله (**الصفر**) العربي المستعمل في الحساب ، فهو في العربية يعني الفارغ الخاوي ، اذا هو رسم في مرتبة الآحاد او العشرات أو المئات .. الخ ، كان المعنى فراغ تلك المرتبة من الاعداد . وقد صار في اوربا يعني الطلاسم والاحاجي السرية المحرمة ، لان أهل الورع والتعصب الديني والقومي من الاوربيين النصارى قالوا كيف يكون الصفر لا شيء ثم هو يجعل الواحد عشرة ومائة وألفا وألوفا ؟... فلا بد أنه طراز من السحر الاسود ، ولا سيما أنه جاء عن العرب المسلمين ، الذين كانوا عندهم أشد الناس كفرا وعداوة . وصاروا يعاقبون كل من يستعمل الارقام العربية التي أخذ الناس يتهافتون عليها لمنطقيتها وسهولتها بالقياس الى الارقام الرومانية التي لا تطاوع اجراء العمليات الحسابية بتلك المرونة ، حتى صار التجار ينظمون دفاترهم بالارقام العربية سرا بالرغم من خشيتهم العقوبة المسلطة على رؤوسهم . ومن كل هذا صارت كلمة الصفر – **سايفر Cipher**) بالانكليزية – تعني الطلاسم والرموز ، وما زالت تعني ذلك حتى أخذها عنهم بعض العرب بهذا المعنى كما قلنا قبل ، وهو شديد البعد عن معناها الاصلي : الفارغ . وانما انقلب نطق السين في **Cipher**) جيما (فارسية مثلثة) في ايطاليا على ما يبدو ، لان الايطاليين هم الذين ينطقون حرف (C) جيما اذا تلاه (I) أو (E) من أجل ذلك ينطقون Cinéma مثلا جينما ، و (Cento) جينتو (أي مئة) . ولكن هذا الصوت الايطالي أصبح عند الفرنسيين شينا فهم ينطقونها (شيفر) وما زالت تعني عندهم الرقم .

المهم في بحثنا أن العرب في العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى استعملوا الشيفرة او الجفرة باعتبارها أعجمية معربة ، وهي عربية متفرنجة فمتعربة . كالمغتربين من العرب الذين يفقدون حتى لغتهم فاذا هم عادوا الى ديارهم رطنوا بلغة اعجمية . واما كلمة (زيرو)

(I) الفرنسيون يستعملون صيغة المذكر (مكازاه – Magazin) للمخزن ، وصيغة المؤنث (مكازين – Magazine) للمجلة ، لا ندري لماذا .. ربما لانهم اخذوا المجلة بصيغتها هذه عن الانكليزية .

Zéro) في الانكليزية والفرنسية والايطالية وغيرها من اللغات الاوربية بمعنى الصفر ، فهى اقتباس ثان من نفس الكلمة العربية (الصفر) ... بنفس المعنى هذه المرة . وقد جرى هذا الاقتباس الثاني أيضا على يد الايطاليين ولهذا جاءت صيغته ايطالية ، وهم ينطقونه (تزيرو) .

يرى القارىء أية أساليب عجيبة وطرائق مذاكرة تسلك الالفاظ العربية فى استعجامها وعودتها الينا فى غير زيها ، حتى لتنكرها عين العربي فلا يتعرف عليها الا العائف المدقق بل ان بعضها لا يمكن الكشف عن هويتها وردها الى اصلها الا باتباع ما يشبه أساليب المتقفين فى تعقب المجرمين والعصابيين (I) .

فهل يبتغي القارىء نموذجا من هذا الصنف بالاضافة الى ما تقدم ؟ اليك (البنزين) وهى الكلمة الشائعة في الكثير من اللغات يطلقونها على النوع المعروف من النفط المستعمل وقودا للسيارات وغيرها من الآلات . من يستطيع غير (شرلوك هولمز) لغوى أن يمزق الاقنعة عنها ليتعرف على ملامحها ، التي لم تغيرها الاصباغ بل العمليات الجراحية المتوالية التى ابعدتها كل واحدة منها مرحلة جديدة عن سحنتها العربية ؟ الواقع انها ليست خالصة النسب فى العروبة ، وانما هى مولدة من أبوين أحدهما عربى والآخر أعجمى من أرض تبعد ألوف الاميال عن جزيرة العرب – اندونيسيا !

ولست أنا ذلك الشرلوك هولمز الذى طاردها من انكلترا الى اندونيسيا ، ولكنهم اللغويون الانكليز والفرنسيون تعاونوا عليها حتى فضحوا سرها ، كما يتعاون المثقفون الدوليون فى مطاردة كبار المجرمين . ان (بنزين Benzine) الانكليزية من (بنزوين Benzoin)

وهذه من الفرنسية (بنجوان) – Benjoin) وهذه من العربية : (لبان جاوه ! – Luban Jawa) وهو النوع من الصمغ العطر المعروف بالجاوى ، الذى كان يستعمل للبخور والتطرية ، وكان يصدره العرب الى أوربا .

وللكلمة فى الانكليزية صيغ اخرى تعنى كلها هذا الصمغ الجاوى وان اختلفت مبانيها بسبب الارتباك الذى احدثته عند دخولها انكلترا ، كما يغير المتنكر زيه من مكان الى مكان فتختلف صوره وشخصه واحد .. والباقى البوم من هذه الصور فى الانكليزية هى : بنجوين Benjoin وبنزوين Benzoin وحتى بنجامين Benjamin وهذه الاخيرة بالاضافة الى معناها الصمغى تعني فى الانكليزية نوعا من المعاطف الرجالية اولا ، وتعني الاخير من اولاد الرجل اى المسمى بحجزة أبيه ثانيا ، كما انها ثالثا اسم علم توراتى : (بنيامين) مثل ابراهام وجون – ومعناها بالعبرية (ابن اليمين) أى ابن اليد اليمنى ، وهذه ايضا من العربية ، لا نشك فى ذلك ، لان كلمة (اليمين) حجازية المنبت . ولنا فى نشأة (اليمين واليسار) رأى ليس هنا مقام شرحه .

وقد جرت التطورات على (لبان جاوة) بعضها فى فرنسا وبعضها فى انكلترا . اما فى فرنسا فيلوح لنا أن أول شيء فعلوه بها هو انهم بتروا اول حرف منها . أى اللام ، ظنا منهم أنه لام التعريف الفرنسى ! فصارت (بنجاوه – Benjawa) ثم أجروا لها عملية أخرى – أو أكثر من عملية – حتى أصبحت (بنجوان) – Benjoin

ومن ثم تناولها الانكليز . ويمكننا بالتخمين أن نتصور ما حدث فلنفترض أن أحد الانكليز القادمين من فرنسا – أو أحد التجار الفرنسيين – قال ان هذا الصمغ اسمه (Benjoin) وهو يستعمل لكذا وكذا ، فعرفه بعض الانكليز بهذا الاسم . ولكن أحد السامعين من الانكليز أراد أن يذكر الاسم لزوجته مثلا فخانته الذاكرة فقال : لقد نسيت اسمه ، ولكنه شيء قريب من اسم (بنجامين Benjamin) ثم ان الزوجة قالت لجاراتها : هذا الشيء اسمه (بنجامين Benjamin) وهكذا شاعت الكلمة على هذا الشكل الى جانب (بنجوين Benjoin) ولكن شخصا آخر سماه للناس (بنزوين Benzoin) بابدال الجيم زايا اما لضعف فى الذاكرة واما لعجز فى النطق ، ولا بد ان الظروف اللغوية كانت مواتية لشيوع هذه الصيغة الاخرى . وهكذا أصبح للكلمة ثلاث صور : اثنتان منها تختلفان عن الصورة الفرنسية ، وكلها يختلف عن الاصل العربى . وربما راجت لها عندئذ صيغ أخرى لم تتيسر لها ظروف

(I) نضع كلمة (المتقفى) بالتشديد – وزان المتولى – مقابل Détective الانكليزية و Policier الفرنسية ، لانها اشتقاق يطابق المعنى ولم يسبق استعماله فى معنى آخر . ونفضلها على (المقتفى) بدون تشديد – وزان المعتدى – التى تستعمل بمعنى التابع فى الادب وفى مختلف مطالب الحياة اليومية ، ولاسيما أن التقفى من صيغة التفعل تدل على التكلف وهو أصدق دلالة على هذا الفن وما يتطلبه من تدبر وجهد . واما (العصابيون) بكسر العين فنستعملها بمعنى رجال العصابات ، ومفردها : العصابى .

الحياة فماتت . وبعد هذا وقع الاختلاف في المعنى فاشتقوا منها أسماء أطلقت على مواد نفطية لا علاقة لها بالكبان ولا بجاوه .

ومن طريف الامر ان مديرية الصناعة العراقية ارادت ذات يوم – منذ اعوام – أن تضع كلمة عربية تدل على البنزين ، فرجعوا الى معجم انكليزي لمعرفة معنى الكلمة في الانكليزية بالدقة عسى أن يساعدهم ذلك على ايجاد الكلمة العربية المناسبة ، واذا بهم يفاجأون بأن أصلها (بنان جاوه) ، فكفوا عنها وسيحوا لها بالاقامة في العراق بزيها الاعجمي كرامة لنسبها العربي الاندنيسي المولد .

هذا وما قبله يدلنا على بعض مناحي التطور اللغوي أولا ، وعلى بعض مظاهر اشتراك مختلف الامم في صياغة اسفظة اللغوية ثانيا ، بالإضافة الى دلالته على ما اردنا اليه من هذا البحث وهو تأثير الاجانب في لغتنا العربية ثالثا .

ويلاحظ القارىء أن أكثر ما اتينا به من نماذج – ان لم نقل كله – يدخل في عربيتنا الدارجة لا الفصحى ، وعن عمد فعلنا ذلك . لان ما دخل الفصحى قديم العهد يحتاج بيانه الى ادلة قاطعة ، ونحن لا نملك من أمرها الا الحدس والظن . أما هذه النماذج التي أوردناها فنعاصرها ونلمسها في حياتنا اليومية في هذا القطر العربي أو ذاك ، وانما نسميها عامية – او دارجة – لاننا لم نقبلها في الفصحى ، واما العرب الاقدمون فما كانوا يحجمون عن استعمال كلمة يحتاجون اليها للتعبير عن فكرة أو الدلالة على شيء بحجة أنها أجنبية أو دارجة ، بل انهم ما كانوا يفرقون في كثير من الاحوال بين فصيح ودارج واعجمي . وان صح ان كلمة (الخندق) استحدثت على عهد النبي من (كنده الفارسية) التي تعني الحفرة اتضح لنا مصداق ما نقول .

ولئن كانت هذه التطورات الشائقة قد حدثت في العصور الاسلامية المتأخرة أو المتقدمة فلا بد أن مثلها قد حدث قبل الاسلام ، في العصور الجاهلية المتقدمة والمتأخرة جميعا ، فدخلت الفصحى ولم يعد من السهل علينا أن نعرف هل كان تطورها بفعل الاعاجم أم الاعارب . ذلك ان العرب كانوا أهل أسفار وملاحة وتجارة منذ سحيق الاحقاب ، حتى قبل التاريخ فيما نعتقد ، فلا شك أن مخالطتهم الاعاجم واسفارهم قد سببت هجرة الكثير من المفردات العربية وعودتها متنكرة كما رحل الكثير من الاعاجم الى اصقاع عربية فاتحين أو مهاجرين ، فتركوا آثارا وافرة من لغاتهم ومن تحريفاتهم في اللغة العربية ولا سيما في الالفاظ التي يعجزون عن نطقها على النحو العربي لاحتوائها على أصوات لا وجود لها في لغاتهم . وليس يمكننا الآن بعد هذه الاحقاب الطوال ان نتعرف في لغة الجاهلية – بل لغاتها – على الكثير من امثال الالفاظ العربية المتفرنجة التي مرت بنا ، مستعينين عليها باللغات الاجنبية المعاصرة ومعاجمها اللغوية كما نفعل الآن فنقول عن يقين أو شبه يقين انها تطورت كذا وكذا . ولكن هذا لا يمنعنا من المحاولة باللجوء الى الحدس والملاحظة والاستنتاج على علمنا بما في ذلك من مزالق وتعرض للخطأ . فعلى هذا سيكون بحثنا فيما يلي أشبه بالتقفي (الشرلوك هولمزي) ، الذي يأخذ بالشبهة ويحكم بالظنة منه بجمع الحقائق وتقرير الواقع .

ولنبدأ **بتأثير الامة الفارسية في العربية** ، ولنبدأ من ذلك بذكر مثال معاصر نعرفه ونطمئن الى صحته ثم نعود الى الجاهلية لنقيس عليه أشباهه .

في العامية العراقية الفاظ أصلها عربي أخذها الفرس فحرفوا نطقها أو معناها أو كليهما ثم عدنا فأخذناها عنهم كحالنا مع الاوربيين فيما تقدم بنا من الكلام . من ذلك مثلا قولهم (جنابه الكسيف) اي الحقير أو الوسخ . واصل الكلمة (كثيف) ومعناها العربي معروف ولكن الايرانيين بالرغم من أنهم يكتبونها كالعرب بالثاء ينطقونها بالسين ويعنون بها الوسخ . وقد عاد العراقيون فاقتبسوها عن الفرس بمعناها ولفظها الجديدين . ولو كان العرب استرجعوا كلمة (الكسيف) قبل الاسلام ليا اعتبرت عامية ولما عرفنا انها من عمل الفرس ، بل لدخلت المعجم العربي باعتبارها عربية خالصة النسب مرادفة للكثيف أو بمعناها الفارسي المستحدث . وربما كانت ترد في القرآن في ذم المنافقين او المشركين او الاصنام ، كما وردت الاباريق والزنجبيل والسندس والاستبرق في وصف الجنة .

ولنتدرج في البحث خطوة فنذكر نموذجا آخر قديما حديثا معا ، نتخذه تكأة لنا في البحث انه (اللوث) – وزان اللون – فقد وردت في العربية (لوثا ولوصا) ، وكلاهما بمعنى واحد هو التكوير أو التكويم أوما هو نحو ذلك من جمع الشيء او الاشياء بغير نظام او هندمة . ومن ذلك قولهم (لاث العمامة) على رأسه أو لاصها بمعنى . الارجح عندي ان الاصل منهما هو اللوث ، ولكن من تكلم العربية من الفرس عجزوا عن نطق الثاء فنطقوها سينا على عادتهم ، فتأثر بهم من خالطهم من العرب ونطقوها صادا فصارت لوصا .

ان البحث كما قلنا قائم بجملته على التخمين الذي يتنافى مع الطريقة العلمية ، والذي لا يجوز ركوبه الا باعتباره حيلة المضطر . وانما بدأت باتخاذ اللوث مثالا لاني أكاد أكون متأكدا منه ، كيما أبيح لنفسي ويبيح لي القارىء أن آتي بنظائره من النماذج فيما بعد . ذلك بأن الفرس المحدثين قد اعادوا العملية أمام أعيننا

في هذه الكلمة بالذات . ان معنى الكلمة في العربية قد تطور الآن فصار اللوث يعني التدنيس او التوسيخ ، وقد أغار الفرس ثانية على هذه الكلمة بمعناها المتطور الحديث هذا فصاروا يقولون (لوس) بمعنى التلوث او العطب . وأعاد العراقيون الكرة فاقتبسوا هذه الصيغة أيضا كأجدادهم فقالوا (اللوص واللواص) بمعنى التخليط والتخبيص والتلويث ايضا . وقال الفرس (ملوس) بمعنى الملوث فقال العراقيون بعد أن فكوا الادغام باقحاح العين في وسط الكلمة : (ملعوس) ـ كمزخرف ـ بنفس المعنى . هذا والفرس المحدثون اذ ينطقون الكلمة ومشتقاتها بالسين انما يكتبونها كالعرب بالثاء **(لوث وملوث)** ـ مما لا يدع مجالا للشك في أن كلمتي (اللوص والملعوس) العراقيتين منشأهما هو النطق الفارسي لهذه الكلمة العربية .

بعد هذا الذى نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا في جيلنا لا أخالني كنت ممعنا في الخيال حين بدا لى أن الفرس هم الذين كانوا أثروا في العرب قديما فجعلوهم ينطقون الثاء صادا في كلمة (اللوث) بمعناها القديم : التكوير والتكويم .

وقبل أن أورد بعض الامثلة التخمينية المحض أذكر نموذجا واقعيا آخر ـ أو يخيل لى أنه واقعي على الاقل ـ هو اسم قرية **(زهاو)** الايرانية ، واليها تنتسب **عائلة الزهاوى** العراقية ومنها المرحوم جميل صدقى الشاعر المعروف فقد جاء اسمها في الخرائط القديمة (ذهاب) ، سميت بذلك لوقوعها على طريق الذهاب الى العراق ـ بين كرمنشاه وبغداد . ولكن الفرس لعجزهم عن نطق الذال ينطقونها على عادتهم (زهاب) . ولما كانت المنطقة كردية غلب عليها اسم (زهاو) كما ينطقها الاكراد . فان صح هذا فمن حق الزهاويين أن يسموا أنفسهم ذهابيين .

وهذا الذى أقول بشأن قرية (ذهاب) معروف ومقبول عند الكثيرين من الفرس ، ولكن الوطنية تغلب على كثيرين آخرين ممن يحاولون تفريس كل ما يمكن تفريسه ، وتنقية لغتهم من العربية ـ وهي تحتل اكثر من ثلثى المعجم الفارسى ـ فيقولون ان اسم (زهاو) فارسي بحت مؤلف من (زه ـ جيد ، و آب ـ ماء) ـ أى الماء الطيب . وقد يكون هذا صوابا ، وقد يكون وطنية لا محل لها في البحث العلمي .

بعد ذكر هذه النماذج التى نطمئن الى صحة بعضها ونظن صحة بعضها ، نقدم على ايراد نماذج أخرى على القياس ، لنا أن نشك فيها ولكن ليس لنا ان نرفضها بتاتا ولا أن نقبلها جزما .

ومما يساعدنا على الاستدلال في هذا الباب هو أن الفرس يعجزون عن نطق بعض الاصوات العربية ، فاذا صادفتهم في كلمة فلا بد أن يبدلوها بأصوات أخرى يقدرون عليها . وهذه الاصوات هي مع نطقها الفارسي: **ث** ، **ص** (س) ، **ح** (هـ) ، **ذ** ، **ض** ، **ظ** (ز) ، **ط** (ت) ع (أ) .

نموذج تخميني : **(الذكاء)** يعني في العربية التوقد و **(اذكاء النار)** يعني اضرامها وتأجيجها ، و **(ذكاء العطر)** سطوعه وانتشاره . ولكن الفارسي يقول (الزكاء) بدل الذكاء ، فاذا سمع عربيا يقول (ذكت الزهرة) يعني انتشر أريجها قال الفارسي (زكت) فحرف بذلك مبناها ، وفهم أن القصد هو انها أينعت وحسن نموها فغير معناها وصار يستعملها بهذا المفهوم الجديد حتى شاعت واقتبسها العرب منه كما اقتبسوا منه اللوص قديما واللوص والكسافة حديثا .

نموذج آخر : **(الزوج)** تعني ـ بلغة قريش على الاقل ـ الفرد الواحد من القرينين ، وبهذا اللفظ والمعنى وردت في القرآن : «من كل زوجين اثنين» ولكن أكثر العرب ينطقونها اليوم (الجوز) ، وفي المغرب **(جوج)** من وزن التوت . ومن المحتمل ان هذه الصيغة الاخيرة (الجوز) هي العربية الاصيلة ، أو انها كانت منذ القدم لغة في الزوج لعلها أشيع على ألسنة العرب ، بدليل أنها أشيع اليوم أيضا وان كان هذا دليلا غير حاسم . أو لعلها كانت لغة العرب المجاورين للفرس ، في الحيرة مثلا ، ولو أن العراقيين اليوم ينطقونها قرشية : (الزوج) . وقد اقتبس الفرس هذه الصيغة فيما يظهر (الجوز) بمعنى الزوجين الاثنين فقالوا : **(جفت)** بضم فسكون . ومن السهل ابدال الواو فاء عندهم لانهم ينطقونه ف (فاء مخففة مثل حرف : **V** في الانكليزية والفرنسية) . فاذا كتبنا الكلمة بالحروف اللاتينية كما ينطقها الفرس كانت هكذا : **(Jovz)** وهم ينطقون (جفت) هكذا : **(Joft)** ولا حاجة بنا الى التدليل على قرب النطق في الكلمتين . أما ان كانوا قد أخذوا كلمة (جفت) عن (الزوج) القرشية رأسا فقد نطقوها هكذا : **(Zovj)** وصياغة (جفت) من هذه أمر محتمل الوقوع كصياغتها من تلك . وما دام الغرب أنفسهم قد جعلوا الزاى جيما في المغرب فمن يستطيع أن يلوم الفرس اذا هم جعلوها جيما او تاء ؟ ومهما يكن من أمر فقد صارت عند الفرس تعني الزوجين بدل الفرد منهما ، ولعلها كانت تعني ذلك عند بعض العرب ايضا لانها تعني ذلك عند اكثر عرب اليوم ان لم نقل كلهم (أعني في لغاتهم الدارجة) . واذا مضينا في هذا الافتراض الى نهايته امكننا ان نفترض ايضا أن العرب عادوا فأخذوا عن الفرس كلمة (جفت) فقالوا (الشفع) ـ على وزان الدفع لا بالمعنى

القرشي : الفرد من الزوجين ، بل بمعنى الزوجين كليهما ـ نقيض الوتر . وقد عمت بهذا المعنى قريشا وغيرها من أحياء العرب فجاءت في القرآن : «**وتيار عشر والشفع والوتر**» . ونحن اليوم لا نجد في الفصحى لفظة بصيغة المفرد تدل على القرينين من الناس او الاشياء ، وقد حل العامة هذه المشكلة باستعمال كلمة الزوج او الجوز ، أو الجوج بهذا المعنى ، بل ان المغاربة يستعملون **(الجوج)** بدل لفظة **الاثنين** في كل مقام ولعل هذا هو اصل معناها العربي كالذي قلنا آنفا . غير أنها اليوم لم تعد تصلح لهذا الاستعمال لانها كذلك تعني الفرد الواحد من جهة ولانها لا تعد فصيحة من جهة اخرى . لهذا نقترح استعمال (الشفع) بمعنى الشخصين أو الشيئين المقترنين ، فنقول رأيت شفعا من الناس اى شخصين ، واشتريت ثلاثة أشفاع من الجوارب ، اى ست فردات ـ على حين انك اذا قلت : اشتريت زوج حذاء ، كان المعنى في الفصحى انك اشتريت فردة من شفع الحذاء ، واذا قلت اشتريت ثلاثة ازواج جوارب ، كان المعنى انك اشتريت ثلاث فردات من ست .

نماذج أخرى :

جلحت الشيء : كشفته وجلوته . ينطقها الفرس (جلهته) وهي فصيحة ايضا ، فهل الفرس هم الذين استحدثوها لنا ؟

قصمت الشيء : قطعته . ينطقها الفرس **(قسمته)** ، فهل هم الذين اوجدوا هذه الكلمة الحسنة ؟

السم **الذعاف** : هل الفرس هم الذين ابتدعوا لنا منها **(الزعاف)** مرادفا ؟

يربط ويربد بمعنى ، ومنها **(المربد)** سوق البصرة المشهورة التي كانت على العهد الاموي خلفا لسوق (عكاظ) المكية على العهد الجاهلي . فهل الفضل للفرس في تحريفها ؟

مثل هذا يقال عن : **يبد ويبز ، يقط ويقد ، يجد ويجز** الجثماني والجسماني ، الوصم والوسم ، اللصق واللزق **البصاق والبزاق التلق والمزج ، القطاء والغشاء** . ويمكن أن يقال مثل هذا عن عدد لا يحصى من الكلمات العربية .

ولست أعني ان العرب أنفسهم لم يغيروا في المباني والمعاني في لغتهم نفسها ، فان معين القلب والابدال وتغيير الحركات والخلط والتحريف في العربية غزير جدا ، وكتب اللغة القديمة والحديثة حافلة بتفصيلات الكثير من ذلك . ولكن هذا لا يعني ان الاعاجم لم يشاركوا في جميع ذلك كالذي رأينا فعلا في أول البحث . وان كان العرب معرضين للخطأ والتحريف في لغتهم فالمعقول ان الاعاجم أقدر على ذلك واجدر به ، فلا شك أنهم يتحملون بعض المسؤولية في ذلك . وبعبارة علمية أدق ان لهم الفضل في التعاون مع العرب على امداد العربية بمفردات جديدة من المترادفات والمتشابهات والمتناقضات والشواذ ، فزادوا هذه اللغة العجيبة غنى على غناها وفوضى على فوضاها .

وكانت الامة الكبيرة الثانية التي خالطت العرب أمدا طويلا فأثرت فيهم وتأثرت بهم هي امة الروم . هؤلاء أيضا يعجزون عن نطق الاصوات التي يعجز عن نطقها الفرس ، بل انهم أعجز . لان الفرس ينطقون أصوات ال : خ، غ، ق ـ على حين أن الروم يتعذر عليهم نطق هذه ايضا . وعلى هذا يمكننا أن نقول عن الروم بشأن أمثال هذه النماذج التي استشهدنا بها الآن كل ما قلنا عن الفرس ، بل اكثر .

وان شئنا مثالا خاصا بالروم ذكرنا (سفح) الدم وسفكه فلعلها من عملهم . لان ابدال الحاء كافا ليس من شأن الفرس فهم اذا ارادوا أن يقولوا (سفاح) قالوا في العادة (سفاه) . ويؤيد اتهامنا للروم في هذا بعض التأييد انهم حين اقتبسوا (حين) الظرفية هذه ابدلوا حاءها كافا أيضا فقالوا **cun** و **Quom** بنفس المعنى العربي .

ولعل هذا المثال لم يعجبك كثيرا ، فلنضرب لك مثلا آخر . **(القبع)** ـ وزان الشكر ـ يعني **(البوق)** في العربية . وأحسب أن القبع هو الاصل منها ، ولعله من قباع الخنزير أوما يشبه ذلك . وأحسب أن الروم هم الذين استحدثوا لنا البوق من الكلمة بعد أن طرحوا منها العين لتعذر نطقها عليهم ، ثم قلبوها . والذي سول لي هذا الظن هو أن البوق يدعى في اللاتينية **(بوتينا Buccina)** وهو يعني اى بوق يحدث صوتا بوجه عام ، والنفير الحربي الروماني بوجه خاص . وقد كان له دوي صخاب وصيت ذائع مخيف تسنده وتزيده ذيوعا الانتصارات الحربية الرومانية العديدة . فلا بدع أن يكون العرب قد اقتبسوا **(البوق)** بعد أن انقلب هذا المنقلب كما اقتبس احفادهم الشيفرة والارض شوكى .

و **(الكوخ)** : كلمة مشتركة بين العربية والفارسية واللاتينية وغيرها ، فهي في العربية تعني البيت القروي . وهي في الفارسية (كاخ) وتعني القصر . أما في اللاتينية فلها نفس المعنى العربي مع تحريف يسير في النطق لعجز الروم عن نطق صوت الخاء كما قلنا آنفا ، فلذلك نطقوها **كاس (Cas)** وأضافوا اليها الفتحة علامة التانيث فصارت كاسا **(Casa)** ولكن معناها تطور في الايطالية والاسبانية ـ بنتي اللاتينية ـ فاصبح يدل على **الدار بوجه عام ومنها الدار البيضاء (Casablanca)**

ولعل العرب كانوا ينطقونها (كاخ) كالفرس لان لفظها اللاتيني أقرب الى هذا في حين أن معناها هو المعنى العربي . ومهما يكن فقد عاد العرب فاسترجعوها على ما يظهر من اللاتينية بنفس المعنى ونطقوها **(الخص)** ـ وزان الدب ـ وضموا اولها كما فعلوا بانكوخ . والعجيب أنهم أعادوا اليها حرف الخاء ـ في أولها هذه المرة بدلا من آخرها .

وقد استخرج اللاتين منها **Castrum** و **Castellum** بمعنى القلعة . وأكبر ظني أن العرب أخذوا الصيغة الاولى ايضا بشكلها الجديد ، أعني : **القصر** ! وهكذا صارت الكلمة ومشتقاتها تعنى من القلعة فالقصر فالبيت **فالكوخ ، الى ما هو اصغر من الكوخ : الخص** (I) .

ومن الامم التي خالطت العرب كذلك : **الاغريق والهنود والاحباش** وغيرهم من شعوب القارات الثلاث ، فلا بد أن تكون هذه الامم وغيرها قد اثرت كذلك في اللغة العربية على النحو الذى عرضناه .

يلاحظ أن ما اوردناه من أمثلة تخمينية كلها بسيط معقول مقبول ، أقرب الى التصديق من الشيفرة والارضى شوكى ، أما أمثال (البنزين) التى اعتورتها التحريفات والتعقيدات حتى انبهمت ملامحها وانطمس الشبه بينها وبين أصلها فلم يعد بامكاننا البحث عنها فى لغة الجاهلية لان المصادر الضرورية لمثل هذا البحث تعوزنا ، ولاننا اذا تمسكنا بكل شبه زهيد في المعنى او المبنى قياسا على البنزين ، او حتى على الكازوزة ، لا تبقى كلمة الا ونستطيع ردها الى اصل عربى على وجه من الوجوه . حتى الشبه الصريح غير مؤتمن العاقبة ، وقد سبق لنا أن حذرنا أنفسنا من الاغترار به .

ان هذا على كل حال باب للبحث أفتحه على مصراعيه وأتركه للباحثين اللغويين يوغلون فيه ما أحبوا ويتوسعون ما شاءوا ، ولا اشك في أن الايام ستلد فيه الكثير من كل ممتع مفيد .

وثمة نوع آخر من التأثير الاعجمى فى لغتنا ـ **لاتأثير الاجانب ولكن تأثير اللغات الاجنبية** ، المسؤولون فيه هم العرب هذه المرة ، وهم المحدثون من الكتاب الذين اكثروا من قراءة الكتب الاجنبية مع رصيد متواضع من العربية ، أو تلقوا تعليمهم باللغات الاجنبية فصاروا اذا تكلموا او كتبوا بالعربية أشعروك انهم يترجمون عن اللغة التى تأثروا بها . وقد سرى هذا النوع من التأثير حتى على كبار كتاب العربية ان لم يكن مباشرة فبواسطة (2) . أما المجيدون من الكتاب فقد انتفعوا بذلك وطعموا العربية بتعابير طريفة بارعة أحسنوا تعريبها وصياغتها . وأما القاصرون فى العربية فقلما أحسنوا ، وكثيرا ما أساءوا . وقد عمت بعض الاخطاء حتى صقلها الاستعمال ، وكلنا يعرف الكثير من أمثلة ذلك . اننا نستعمل (الحقل) مثلا بمعنى الميدان فى كثير من المناسبات متأثرين بالانكليزية لان كلمة **«Field»** تعنى بها الحقل والميدان معا . ونحن نستعمل الوثائقى بدل (التسجيلى) لان الانكليز ، وربما كان الاصح ، لان الامريكان يفعلون ذلك .

والى جانب التأثر فى استعمال الكلمات ظهر **التأثر في أسلوب تأليف الجمل** ، وبعضه يمس حتى قواعد اللغة العربية . وما زال ذلك قاصرا الى حد ما على المتأدبين الذين قل نصيبهم من التفقه فى العربية والتزود من أدبها بالاسلوب الاصيل . من ذلك قولهم **(بشكل او بآخر)** بدلا من القول (على نحو ما) او (على هذا النحو او ذاك) ... وقولهم (انه يتقدم اكثر فاكثر) ترجمة للعبارة الانكليزية **(advances more and more)** بدلا من القول (انه يزيد تقدما على تقدم ... أو : تقدما بعد تقدم) . وقرأت لاحدهم قوله : **(انه جيد جدا ليكون صادقا)** يريد أن يترجم المثل الانكليزى المشهور : **(It is too good to be true)** بدلا من أن يقول : (انه أجود من أن يصدق ... أو : انه من الجودة بحيث لا يصدق) .

وما من أديب يقرأ اليوم مجلة عربية الا وجد من أمثلة ذلك الكثير ، حتى فى الشعر احيانا . وان مدى هذا الخروج على الاسلوب العربى لتتسع دائرته شيئا فشيئا ، ولا بد أنه سيطغى كالموج الغامر ذات يوم . حتى يحدث فى اللغة تطورا خطيرا حاسما فيه خير وفيه شر ، أعنى ان التطور سيكون بعضه منطقيا يساعد على تنظيم الفكر الحديث وبعضه اعتباطيا فيه خلط وفوضى . والسبب الوحيد الواضح لكل عين هو أن اتساع مجال التعلم فى الاقطار العربية أكبر واسرع من تيسر امكانيات التعليم ، ولا سيما تعليم العربية ، وتيسير تعليمها ، وتيسيرها .

وان هذا الذى حدث ولا زال يحدث فى هذا الجيل

(I) **الكوخ** وردت فى الانكليزية والفرنسية ايضا بصيغة **Cottage** اقرب الى اللفظ العربى وبالمعنى العربى ، ومن **Castellum** اللاتينية بمعنى القلعة اخذ الانكليز **Castle** والفرنسيون **Château** والايطاليون **Castella** ... الخ .

(2) نستعمل (المواسطة) مقابل (المباشرة) ، كلمة واحدة تغنينا عن القول «بطريقة غير مباشرة» . وهي بعد دقيقة المعنى تعبر بالضبط عن المقصود .

قد حدث الكثير من أمثاله في عصور الازدهار الثقافي الاسلامية في المشرق والمغرب ، فاستحدثت مصطلحات وابتدعت تعابير وتراكيب في المنطق والفلسفة والآلهيات والطبيعيات والصناعات وغيرها بتأثير اللغات المترجم عنها من اغريقية وسريانية وهندية وفارسية ـ دون تدخل من الاعاجم . ولم يخل حتى ذلك العهد من بلبلة واضطراب في المصطلحات وركاكة في التعبير بالرغم من أن التعمق في دراسة العربية كان قد بلغ أوجه يومئذ ، وبالرغم من حذف الكثيرين من المترجمين وتضلعهم من العربية . ومهما يكن فان ما أصابته العربية من ثروة ونماء متناسب مع تلك المرحلة الحضارية الباذخة كان جليل القدر بالغ الاهمية ، لنا فيه تراث يجب أن نحسن الانتفاع به .

على أن تتبع كل ذلك ما زال ميسورا للباحثين ولو أنه في واقع الامر فسيح الارجاء متعدد الجوانب .

فهل حدث مثل هذا في الجاهلية ؟ حدث ما يقاربه . في العهد الاسلامي كان العرب هم الغالبين سياسيا وحربيا ، والمغلوبين او المتأثرين وبعبارة أدق ، المنتفعين ثقافيا من الاقطار المفتوحة كفارس ، والمفتوح بعضها كالهند ، والمفتوحة امبراطوريتها كروما ، والتي لم يفتحوها قط كاليونان .

أما في الجاهلية فقد سيطر الروم على عرب الشام ، والفرس على عرب العراق ، والفرس والاحباش على عرب اليمن ... فالى أي حد تأثرت العربية بلغات هذه الامم وثقافتها ؟ ان التأثر لم يكن من العمق والاتساع بحيث يمكن قياسه على ما جرى في العهد الاسلامي ، لان العرب لم يكونوا عندئذ في مرحلة تثقف وتمدين ، أو بالاحرى لان هذه الامم الاعجمية لم تستهدف تثقيف العرب وتمدينهم .

أما الروم فقد كانوا معمرين مستعمرين لا مثقفين ولا متثقفين . ولكن اختلاطهم امدا طويلا بعرب الشام خاصة قد ترك أثره من غير شك . وهذا بحث له اهميته يتطلب تفرغا خاصا .

واما الفرس فقد كان شأنهم مع عرب العراق شأن الروم مع عرب الشام . كلتا الامتين الفاتحتين اقتضت مصالحها أن تترك العرب على ما هم فيه من بداوة أو شبه بداوة ، مهمتهم حماية الثغور للمستعمرين ومجاربة بعضهم بعضا دفاعا عن الاستعمار في بلادهم ، فكانما اتخذ الروم عرب الشام والفرس عرب الحيرة ديوك هراش .

لقد تطرقنا قبل الى تاثير هؤلاء العلوج من الامتين ـ ولا نقصد بالكلمة الزراية بهم (I) ، واما الذي نريد اليه هنا فهو تأثر العرب بلغتيهم وبالاغريقية والحبشية وغيرها وانعكاس ذلك على اللغة العربية دون تدخل من الاعاجم أنفسهم ـ على شاكلة تأثر الكتاب والمترجمين في العهد الاسلامي ، وتأثر الادباء والمتأدبين في عهدنا هذا ، فهذا هو الذي يصعب اليوم تتبعه والبحث فيه لانه يتطلب منا أن نعرف أساليب العربية ولهجاتها القديمة الاولى في بعض المراحل التاريخية ، والمناطق الجغرافية ، لكي نتمكن بالمقارنة من تعرف ما طرأ عليها في مختلف تلك الظروف الغامضة الشديدة التعقيد .

على أنه بالرغم من صعوبة الامر لا بد أن البحث سيكشف فيه عن جديد مهما يكن قليلا ...

واذا كان لا بد لنا من المغامرة بايراد نموذج من هذا النوع البعيد المنال من تأثر اللغة العربية باللغات الاعجمية ـ ذكرنا ـ بتحفظ شديد ـ تقديم الصفة على الموصوف أحيانا خلافا للقاعدة العامة في العربية التي يعد من خصائصها ـ وخصائص اخواتها اللغات السامية ـ تأخر الصفة عن موصوفها ، والصفة في العربية تابعة للموصوف في كل حالاته من الاعراب والتذكير والتانيث والافراد والتثنية والجمع ، فنحن نقول مثلا : طيب الراحة حاد المزاج ، حسن الحظ ، ضيق اليد ... بالضبط كما يقول الفرس : خوش بو ، وتندخو ، نيك بخت ، تنكدست ... بنفس المعنى وبنفس الترتيب كلمة فكلمة ، ونجتزىء بهذا الآن ، فان لتقديم الصفة على الموصوف في العربية خلافا للقاعدة العامة موضوعا طويلا لنا فيه بحث مستقل .

نزيل المغرب العربي : **عبد الحق فاضل**

(I) علج : كلمة امتهان كان يطلقها العرب على الاعاجم ولاسيما الروم ، ويبدو لنا أن الكلمة من لغة الروم نفسهم ، أصلها (ألكو ـ Algo) أي الغريب الاجنب ، واستعمال الكلمة من قبل العرب بمعنى الازدراء يدل على أنفتهم حتى من حكامهم الروم ، ولعلهم كانوا يعدون حروبهم تحت أمرة الدولتين الفاتحتين متعة خاصة لانفسهم ولمصلحة أنفسهم شأن جميع القبائل العربية المتحاربة الاخرى ، ولعل كلا من الفريقين العربيين كان يعد الدولة المحالفة له ظهيرا يعاونه على خصمه ويبدو لنا أنه لو لم يكن المناذرة خاضعين للفرس والغساسنة للروم لتطاحن المناذرة والغساسنة فيما بينهم نزاعا على السلطان .